النشاط المعماري الديني التعبدي للملك تهارقو في بلاد كوش

د. الأمين عثمان شعيب
كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

مستخلص:

تتناول هذه الورقة النشاط المعماري الديني للملك تهارقا في بلاد كوش-من تشييد وترميم لدور العبادة «المعابد»، وتنبعث أهمية هذه الورقة في أنَّها تعرضت لأنشطة المعابد التي كان لها شأواً عظيماً في نشر الفكر الديني المستمد من قوة الإله آمون الذي عُبِد في تلك الفترة في تلك الدُور. هدفت هذه الورقة إلى إبراز النشاط المعماري الديني للملك تهارقا وتسليط الضوء على المعبد وأهميته التاريخية ومكانته الحضارية. وتمثلت مشكلة البحث في أهمية المؤسسة الدينية التي لعبت دوراً مهماً في انتصارات الملوك الكوشيين الخارجية وبالإضافة إلى تتويجهم بها، حيث شملت مناطق مختلفة داخل مملكة كوش. اتبعت الورقة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وخرجت الدراسة بعدد من النتائج أهمها: أن الملك تهارقا اهتم اهتمام بالغ بالمؤسسة الدينية إذ عمل على إنشاء معابد جديدة وترميم ما كان آيل للسقوط. كما عمل على جلب المهندسين المعماريين من ممفيس لتنفيذ بناء بعض المعابد وتزيينها وتلوينها ونقشها باللغة الهيروغليفية التي تدل على تدين الملك تهارقو نفسه واهتمامه بالمؤسسة الدينية التي أولاها اهتمامه قبل أن يتوج ملكاً. كما خرج البحث بعدد من التوصيات تتمثل في الاهتمام بترميم وصيانة العديد من المعابد التي شادها تهارقو في بلاد كوش والعمل على حمايتها لأنها تمثل الإرث الحضاري لهذا البلد المعطاء.

Abstract:

This paper deals with the religious architectural activity of King Taharqa in the country of Kush - from the construction and restoration of houses of worship “temples”, and the importance of this paper stems from the fact that it was exposed to the activities of the temples, which had a great importance in spreading religious thought derived from the power of the god Amun who was worshiped at that period in those roles. This paper aimed to highlight the religious architectural activity of King Taharqa and to highlight the temple and its historical importance and civilizational status. The research problem was the importance of the religious institution that played an important role in the foreign victories of the Kushite kings, in addition to their coronation. It included various regions within the Kingdom of Kush. The paper followed the historical, descriptive, and analytical method, and the study came out with a number of results, the most important of which are: that King Taharqa paid great attention to the religious institution, as he worked on constructing new temples and restoring what was about to fall. He also worked to bring architects from Memphis to carry out the construction, decoration, coloring and engraving of some temples in the hieroglyphic language, which indicates the religiosity of King Taharqu himself and his interest in the religious institution that he paid his attention to before he was crowned king. The research also came out with a number of recommendations represented in the interest in the restoration and maintenance of the many temples that Taharqu built in the country of Kush and work to protect them because they represent the cultural heritage of this benevolent country.

المقدمة:

تهارقا هو ابن الملكة (إبار) أخت الملك آلارا وأن والده هو الملك (بيي) والأخ الأصغر للملك شبتاكا، ويشير أحد الألواح التي تركها في معبد الكوة إلى استدعاء الملك شبتاكا لتهارقا – وهو ابن العشرين عاماً – حيث يذكر اللوح (كوة V) أنا جئت من أرض الأقواس بصحبة أخوة الملك الذين استدعاهم جلالته، وأنا سأكون معه، وهو يحبني أكثر من أخوته كلهم وأكثر من أبنائه كلهم، وأنا المفضل عنهم بواسطة جلالته – أي شبتاكا – واستلمت التاج في ممفيس عندما طار الصقر إلى السماء (أي عندما مات الملك شبتاكا)[1].

تنتشر في مملكة نبتة المعابد التي شيدت في كثير من المواقع الحضرية، وكان معظمها مكرِّساً لعبادة الإله آمون، مثل معابد جبل البركل وصنم أبي دوم، والكوة وبنوبس، فلعبت المعتقدات الدينية عموماً – والعقيدة الآمونية بصفة خاصة – دوراً أساسياً في نشأة واستقرار واستمرار دولة كوش، إذْ أنَّ قراءة نقوش ملوك هذه الدولة تؤكد الأهمية الكبيرة للجانب الديني في تلك الدولة لدرجة أن معظم ألواحهم يغلب عليها الطابع الديني، وقد شكَّل الإله آمون نقطة الانطلاق للنشاطات الكوشية الكبرى، فكل الملوك تقريباً تلقوا سلطتهم الملكية والسيادة والقوة من الإله آمون، وقضوا على أعدائهم ومنافسيهم بفضل رضائه عنهم وقوتهم التي استمدوها منه، وبرَّروا بهديه كل أفعالهم ورغباتهم، وتظهر الصورة بوضوح أكثر في نصوص اعتلاء العرش، أو تسجيل الانتصارات. رغماً عن أن بلاد كوش قد نالت استقلالها بعد خروج المصريين منها إلاَّ أنَّ ممارسة الشعائر الدينية والطقوس الجنائزية في كوش كانت شبيهة بتلك التي كانت تمارس في طيبة في أواخر فترة المملكة المصرية الحديثة[2]. واستمر الزعماء الذين تولوا زمام الأمر في بلادهم في عبادة الإله آمون أهم آلهة الدولة المصرية الحديثة، وأخذت ممارساتهم الدينية في معظمها تسير على نفس نهج المصريين؛ بل أنهم أعطوا الإله آمون ولاءً أعظم بعد قيام مملكة كوش، وبلغت حداً تجاوز مدى قوتها في موطنها الأصلي[3].

بدأت فترة النشاط المعماري الديني التعبدي الواسع في بلاد كوش بوصول تهارقا إلى الحكم في 690ق.م وقد اعتبره كثير من المؤرخين معمارياً من الدرجة

الأولى. اهتمَّ الملك تهارقا مثل سابقيه بماضي مصر، وعبَّر عن هذا الاهتمام ببناء المعابد وإصلاح القائم منها سواء كان ذلك في مصر أو بلاد كوش، إلاَّ أنَّه ركَّز بصورة واضحة على بلاد كوش، وبدأ نشاطه أولاً في جبل البركل حيث بنى المعبد الثاني للإله آمون والإلهة موت، وقطع قدس الأقداس في الصخر – ربما كان يوجد رواق يقوم على أربعة أعمدة، زُيِّن تاج كل منها برأس الإلهة حتحور[4]. انظر الصورة أدناه.

صورة رقم (1) توضح الأعمدة التي عليها رأس الإلهة حتحور

(1) النشاط المعماري الديني بجبل البركل:

بدأ تهارقا نشاطه المعماري أولاً في جبل البركل حيث بنى المعبد الثاني وأهداه للإله آمون والإلهة موت زوجته، وقد قطع قدس أقداسه في الصخر(B.300)، وربما كان يوجد رواق يقوم سقفه على أربعة أعمدة. توجد

خلف البوابة قاعة تحتوي على ستة عشر عموداً نُسقت على صفين، وتوجد خلفها قاعة أخرى بها ثمانية أعمدة قُسمت أيضاً إلى صفين، وتقف على جانبي المدخل أعمدة مستطيلة الشكل تم تزينها برسومات الإله بس، وتقع خلف هذه الأعمدة أعمدة أخرى أعلى منها نسبياً زُين رأس كل عمود منها برأس الإلهة حاتحور. احتوى المعبد أيضاً على ممر داخلي طويل يربط القاعة الثانية بالحجرة الصغيرة المقطوعة في الصخر. وقد وُضع على جانبى هذا الممر عمود زُين بتمثال الإله بس، ونُقش عليه ألقاب الملك تهارقا، يُوجد أيضاً في الجزء الأعلى من هذا العمود بقايا نقش يبدو فيه الملك وهو يعبد الإله آمون -الذي صُور في هيئة إنسان برأس كبش - وزوجته الإلهة موت، إلى جانب احتواء هذا الجزء من العمود على ألقاب الملك تهارقا المختلفة.

تحتوي جدران المعبد على بقايا من المناظر الدينية، يبدو فيها الملك تهارقا وهو يعبد آلهة الجبل المقدس، ويقدم لها القرابين. يصور أحد المناظر زوجة الملك وهي تقدم للإلهة موت قربان في شكل آلة موسيقية. تميز قدس الأقداس بأن جدرانه كانت مزينة بسلسلة من المناظر الدينية، ولا نستبعد أن هذا المعبد كان يحتوي على تمثال الإله آمون وآخر لزوجته خاصة أنه قد أُهدي إليهما، وقد ذكر بدج أن هذا المعبد كان به مذبح من حجر الجرانيت، إلا إنه اختفى[5].

يوضح هذا المعبد من بدايته حتى اكتماله أنه كان عبارة عن معبد جنائزي مصري، فالنقوش والزخارف في الجدران نُقلت من حجرات المعابد المصرية، ولكن ما يبدو محيراً أن الملك تهارقا لم يقلد الفراعنة في تسجيل أحداث إحتلاله لمصر في حيطان المعبد الخارجية. هذا في حين أننا نجد أن بيي الذي سبقه لم يتجاهل هذا التقليد. بنى تهارقا أيضاً المعبد (ب.200) والقاعة الخارجية لمعبد آمون (ب.500).

قام الملك تهارقا بإصلاحات وإضافات للمعابد التي كانت قائمة في جبل البركل. فقد وُجدت آثاره في المعبد الذي يقع في نهاية جبل البركل، وفي المعبد الذي يقع شمال معبد الملك بيي. ذكر الملك تهارقا في نقش له وُجد في المعبد

الكبير أنه أعاد بناء معبد الإلهة موت من الحجر الأبيض. وفي نقش آخر ذكر أنه بنى منزلاً للإلهة موت سيدة بلاد كوش، وأنه قام بتوسيع وتجديد معبدها. كما احتوت حجرة صغيرة تقع بالقرب من قدس الأقداس على نقش ذكر فيه الملك تهارقا أنه بنى هذا النصب لأمه الإلهة موت، عين رع، سيدة السماء، سيدة الآلهة التي تقيم في نبتة. وقد احتوى المذبح الذي قطع من الجرانيت والذي كان موجوداً في معبد الإله آمون على الإهداء التالي « أقام الملك هذا النصب لأبيه رع، ملك طيبة وسيدها، الإله العظيم الذي يقيم في كوش.» وقد أضاف الملك تهارقا مصلى للمعبد الذي بناه الملك بيي في جبل البركل، فقد وُجد إسمه وألقابه منقوشة في مذبح من الجرانيت في المصلى[6].

صورة رقم (2) توضح احتضان جبل البركل لعدد من المعابد تصوير الكاتب

تم اكتشاف من عهد الملك تهارقا على قمة جبل البركل التي ترتفع حوالي 74 متراً فوق سطح الأرض، فقد اكتشف فريق من العلماء الأمريكيين عام 1986م، عن طريق استعمال آلة التلسكوب نقوشاً بالكتابة الهيروغلوفية تركها الملك تهارقا على كوة صغيرة في قمة الجبل، كان الغرض منها أحتواء تمثال صغير للملك (لم

يتم العثور على التمثال)، وقد زُينت هذه الكوة بطبقة من الصفائح الذهبية كانت آثارها باقية عند وقت الإكتشاف.

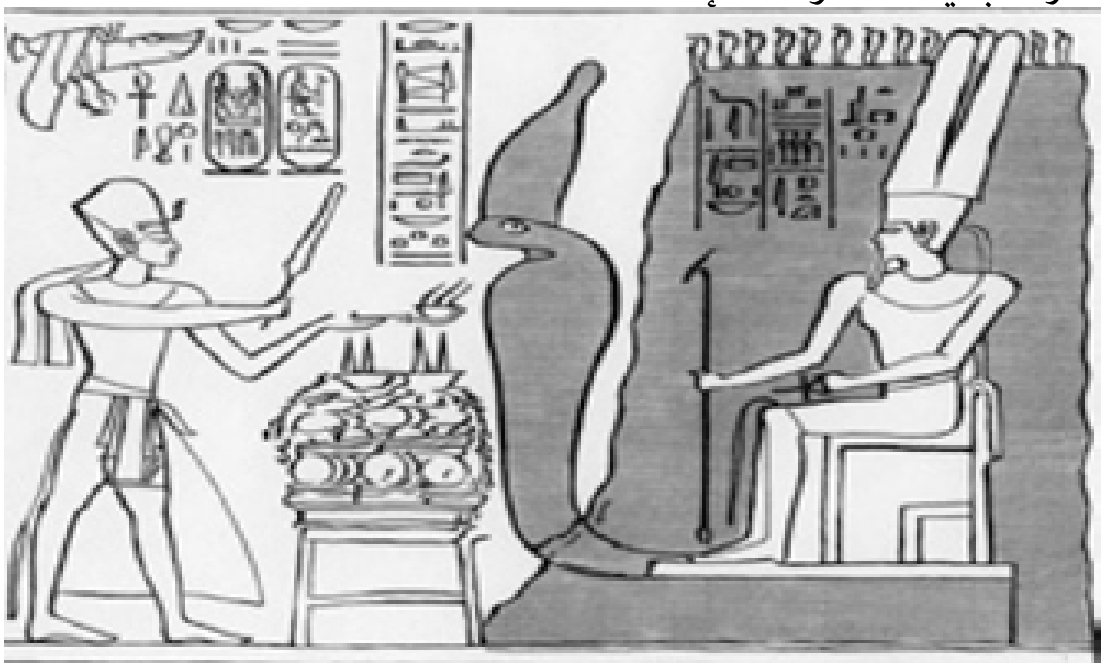

شكل رقم (1) عن كندال 2006، ص129

لم يقتصر مجهود الملك تهارقا المعماري في البركل، لكنه شيد معابد في كل من الكوة وصنم أبو دوم وفي تابو بجزيرة أرقو(يسمى أحياناً معبد بنوبس). وقد كُرست كل هذه المعابد لعبادة الإله آمون، وبُنيت وفق الخطة والطراز المصري الصميم، كما بُنيت جميعها على خطة واحدة.

(2) معبد (T) بالكوة:

تقع الكوة على الضفة اليمنى للنيل، على بعد حوالي أربعة كيلومترات جنوب مدينة دنقلا، في منطقة رملية، وتغطي سطح الموقع كسارة الفخار وبقايا المخلفات السكنية. ومن قرية الكوة «الكاسورة حالياً» تمتد جنوباً لمسافة كيلومترين الأكوام الضخمة وبقايا الطوب الأحمر وجدران ضخمة من الحجر تمثل بقايا المعابد، وتنمو بعض الحشائش والأشجار المتفرقة بين النيل وهذه المعابد. ربما كانت المنطقة في الماضي مدينة كبيرة المساحة محاطة بالمزارع من ثلاث جهات[7].

عرفت الكوة قديماً باسم جم با اتن، وهذا المسمى كان ذا صلة بالفرعون

أخناتون، ويوجد بها معبد للإله آمون، أما المعبد الفرعوني الصغير الذي لا يزال ماثلاً فقد بُني في عهد توت عنخ آمون[8].

اهتم الملك تهارقا اهتماماً بالغاً بمدينة الكوة، ويبدو أن اهتمامه هذا كان نابعاً من حبه العميق لها، فقد ذكر أنه عند مروره بها في طريقه إلى مصر – وذلك في السنة الأولى من اشتراكه في الحكم مع شبتاكا – أحزنه ما آل إليه حال المعبد من دمار[9]، لذلك أعلن بعد تتويجه ملكاً في ممفيس عن رغبته في بناء معبد الكوة، لأنه كان يحس أنه مدين للإله آمون رع الذي تعهد للجد ألارا بوضع أسرته تحت رعايته، ولأنه كان يدين لآمون بالفضل في وصوله للعرش[10].

كان عهد الملك تهارقا مليئاً بالنشاط المعماري في بلاد كوش، ودلَّت الآثار التي كشف النقاب عنها في مدينة «الكوة» (جم أتون) الواقعة على الضفة اليمنى للنيل جنوبي دنقلا على النشاط المعماري الذي قام به هذا الملك، فقد انشأ بها معبداً فخماً، ويبدو على أنه على أثر اعتلاء تهارقا العرش مباشرة بدأ في بناء هذا المعبد فأرسل جماعات من أصحاب الحرف والصناعات من منف لإقامته ولتزيينه بالنقوش التي كانت تقليداً لآثار الدولة القديمة في أبو صير وسقارة. وقد صفَّحت أعمدة المعبد الجديد بالذهب، وصنِّعت الأبواب من خشب الأرز، وصُبَّت مزاليجها من البرونز، وزُرِعت الحدائق في الأراضي المجاورة بالنباتات والأشجار، وحفرت البحيرات والبرك لإمدادها بالمياه، كما زرع الكرم التي خصص لرعايتها رجال متخصصون جلبوا خصيصاً لذلك، وكانت كرم هذا المعبد تستخدم في صنع المشروبات الروحية (النبيذ) الذي قيل أنَّه يفوق في حلاوته نبيذ (الواحات البحرية). وقد صُفَّت كباش من الجرانيت على جانبي بوابة المعبد، وألحق بالمعبد مصنع للطوب ومخزن للغلال[11].وقد عثر على لوحات في الردهة الخارجية للمعبد مدونة عليها معلومات خاصة بالمعبد وتأسيسه والقيام على خدمته، وسجل بالهدايا التي قدَّمها الملك تهارقا في السنوات من السنة الثانية من حكمه حتى السنة الثامنة، وهذه الهدايا تدل على ما كانت تتمتع به البلاد من ثروة، فالأواني معظمها من الذهب، هذا بالإضافة لأنواع الأنسجة والكتان، ويدل تعدد هذه الأنسجة على تقدم صناعة الغزل في البلاد. وكذلك ذُكِر أنَّه

أمدَّ المعبد بالخدم والخادمات، كما خصص له مغنيات وكاهنات يقمن بأداء الشعائر الدينية، ونلاحظ أن العنصر النسائي كان سائداً بين خدم وكهنة المعبد، ولا غرابة في ذلك فقد انتهى الأمر إلى أصبحت الكهانة العظمى في معبد آمون في يد النساء ولمدة طويلة من الزمن بدلاً عن الكاهن الأعظم[12].

بدأت هبات تهارقا لمعبد جم با أتن منذ عامه الثاني كما جاء في اللوح رقم ثلاثة، والذي عثر عليه في القاعة الأولى من المعبد، وقد استمرت هذه الهبات حتى العام الثامن[13]، وذكر في اللوح رقم أربعة أنه أرسل جيشاً إلى جيم با أتن مع عدد ضخم من الحرفيين المهرة وبصحبتهم معماري يشرف على بناء المعبد، ويذكر اللوح أن الملك شيَّد هذا المعبد من الحجر الرملي الأبيض ، وقد طليت أعمدته بالذهب والفضة ونقش عليها اسم جلالته وزوِّد بالأواني الذهبية والفضية والبرونزية[14].

يبلغ طول المعبد 38.7 متراً وهو يشابه إلى حدٍ ما معبد صنم أبو دوم، والفرق الأساسي بينهما أن معبد صنم أبو دوم يحتوي على صرحين ، بينما معبد الكوة له صرح واحد ، إضافة إلى اختلاف مكان تشييد مقصورتي الملك بكلا المعبدين ، وهذا الأمر يوضِّح أن معبد صنم أبو دوم بني بعد الانتهاء من بناء معبد الكوة ، وصار معبد صنم أنموذجاً مطوَّراً لمعبد الكوة[15].

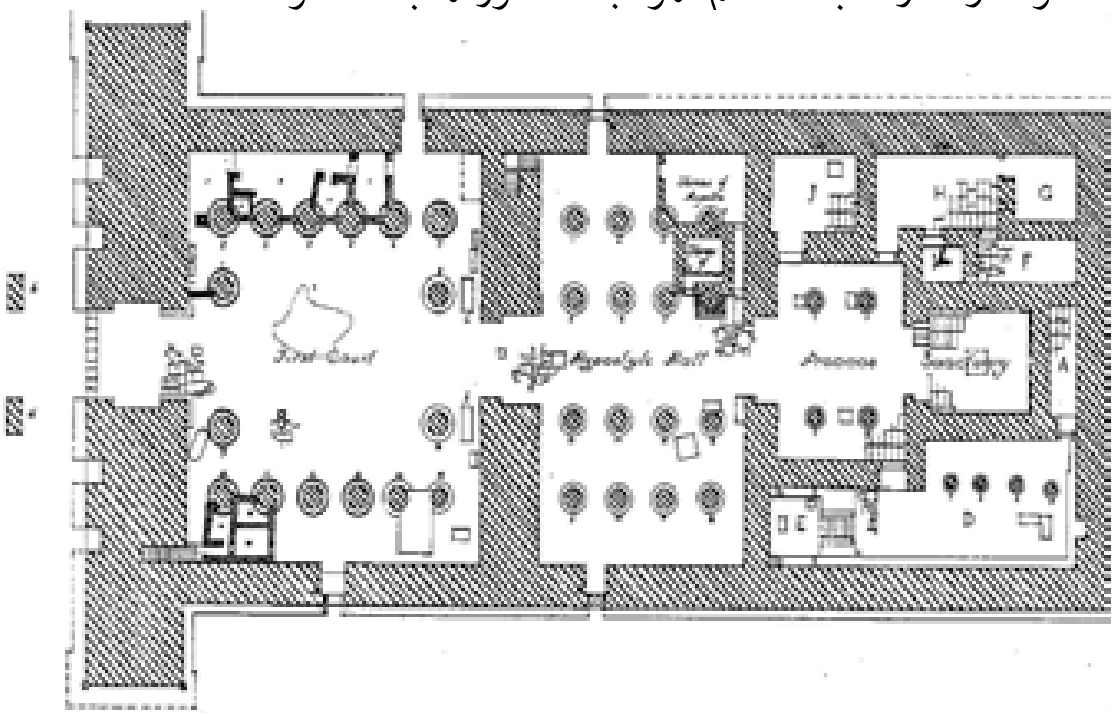

شكل رقم (2) معبد (T) بالكوة، عن مكادم 1949

خطط تهارقا الحدائق حول هذا المعبد، وزرعت فيها الأشجار التي كانت تسقى من القنوات التي حفرت من النيل لهذا الغرض، وجلب له الفلاحين من آسيا، وزوده بالكهنة والمغنيات ليعزفن أمام الإله[16]. زُيِّن الطريق الذي يؤدي إلى المعبد بعدد من الكباش، كان كل واحد منها يضم تمثالاً لتهارقو وضع بصورة تدل على أن الإله يشمل الملك برعايته وحفظه[17]. استغرق بناء هذا المعبد نحو أربعة أعوام تقريباً، فقد بدأ تشييده في العام السادس من حكم تهارقو ، وقد سجَّل الملك في اللوح رقم سبعة أنَّ الافتتاح الرسمي للمعبد كان في العام العاشر من حكمه[18]، وقد أهدى تهارقو هذا المعبد للإله آمون حيث سجَّل ذلك في الباب الشمالي للقاعة[19].

احتفظت الكوة بالمكانة التي أرادها لها تهارقا لقرون عديدة بعده، حتى غدت في المرتبة الثانية بعد نبتة من حيث الأهمية الدينية. ودلالات ذلك نجده فيما عكسته ألواح تتويج الملوك الذين جاءوا بعد تهارقا، وما أضافه أولئك الملوك من مباني لآثارها[20].

صورة رقم (3) توضح معبد (T) بالكوة، تصوير الكاتب

اهتم الملك تهارقا اهتماماً بالغاً بمدينة الكوة، ويبدو أن اهتمامه هذا كان نابعاً من حبه العميق لها، فقد ذكر أنه عند مروره بها، وذلك في السنة الأولى من اشتراكه في الحكم مع شبتاكا – في طريقه إلى مصر – أحزنه ما آل إليه حال معبدها من دمار. لذلك فإنه بعد تتويجه ملكاً في ممفيس أعلن عن رغبته في بناء معبد الكوة، لأنه كان يحس أنه مدين للإله آمون رع الذي تعهد للجد ألارا بوضع أسرته تحت رعايته، ولأنه كان يدين له بالفضل في وصوله للعرش.

بدأت هبات الملك تهارقا لمعبد جم با أتن منذ عامه الثاني كما جاء في اللوحة رقم ثلاثة، والتي وُجدت في القاعة الأولى من المعبد، وقد استمرت هذه الهبات حتى العام الثامن. يبدو إهتمام تهارقا بهذا المعبد واضحاً بمالا يدع مجالاً للشك، فقد ذكر في اللوحة رقم أربعة أنه أرسل جيشاً إلى جم با أتن مع عدد ضخم من الحرفيين المهرة وبصحبتهم معماري ليشرف على بناء المعبد.ومما ذُكر في اللوحة يتضح أن المعبد قد شُيد من الحجر الرملي الأبيض، وأن أعمدته طُليت بالذهب والفضة، ونُقش عليها إسم جلالة الملك، وزود المعبد بالأواني الذهبية والفضية والبرونزية.

خطط الملك تهارقا الحدائق حول هذا المعبد، وزُرعت فيها الأشجار التي كانت تُسقى من البحيرات التي تم حفرها لهذا الغرض، وجلب الملك تهارقا الفلاحين من آسيا، وحشد الملك للمعبد المغنيات ليعزفن أمام الإله آمون، كما ملأه بعدد من الكهنة. كل ذلك لتكتمل صورة المعبد المصري لتهارقا، وكما أراد الملك فقد كان نتاج هذا المجهود معبداً مصرياً خالصاً، نقش فيه الحرفيون المهرة النقوش بدقة تامة على الطراز المصري، لا سيما نماذج المملكة المصرية القديمة الموجودة في أبي صير وسقارة حيث معابد الأسرتين الخامسة والسادسة[21].

يُعتبر ما بقي من الآثار على جدران معبد الكوة ذو قيمة تاريخية كبيرة بالرغم من أنه لم تُوجد مناظر مكتملة. ولعل أهم النقوش من الناحية التاريخية النقش الموجود في الجانب الجنوبي من المعبد، والذي صور فيه الملك تهارقا في هيئة أبي الهول – الذي كان يُعرف عند المصريين بإسم حو، وكان رمزاً للإله حرماخيس. يشابه هذا المنظر منظراً في معبد الملك ساحورع حيث صور في هذا

المعبد جسم أبي الهول مكوناً من جسم أسد و رأس صقر، أما في معبد تهارقا فإن الشكل كان يتكون من جسد أسد ورأس آدمي، وقد نُحتت تحت أرجل الأسد مجموعة من أشكال الأجانب، إتضح من النقوش المصرية أنهم ليبيون وآسيويون وبنتيون (من بلاد بنت). وقد ذُكر في النص الذي صحب هذا النحت ما يفيد أن الملك يضع تحت أرجله كل الأقطار الأجنبية، وكُتب أمام الأسير الليبي مامعناه أن الملك أخذ الأسرى وكل قطعانهم، أما الجزء الأسفل من النحت فقد رُسمت فيه مناظر تشبه تماماً المناظر في معبد ساحورع. ويرى مكادم أن المعبد ربما كان به حجرة لوضع تمثال الإلهة سيشات، إلهة الكتابة لتسجيل أسماء الأسرى كما هو الحال في معبد ساحورع[22].

يلي النحت السابق نص عمودي ذُكر فيه أن الملك تهارقا هزم الأقطار الأجنبية التي ثارت ضده، وأن الملك اضطرهم للمشي مثل الكلاب (إما طوعاً أو كرهاً)، وقد نُقش هذا النص مرة أخرى بصورة أكثر اكتمالاً على جانبي باب قاعة الأعمدة. يُوحي وجود هذه العبارة في نقوش المعبد أن هذه المناظر نُقلت نقلاً من المعابد الجنائزية التابعة للمملكة المصرية القديمة[23]. نجد وجه شبه آخر في النحت الذي على يمين النص السالف الذكر بل أن الجزء الأسفل والذي صور فيه ثلاثة من الليبيين – رجلين وإمرأة – كان مطابقاً تماماً لما وُجد في معبد ساحورع ومعبد بيبي الثاني. وقد تعدى التشابه في النحت إلى التشابه في الأسماء، إذ نجدهم حملوا أسماء واحدة في النحتين. مما يدل على أنه قد تم نقل هذه النصوص من المعبدين السابقين. تم تزيين الطريق الذي يُؤدي إلى المعبد بعدد من الكباش، وكان كل واحد منها يضم تمثالاً للملك تهارقا وُضع بصورة تدل على أن الإله يشمل الملك برعايته وحفظه.

استغرق بناء هذا المعبد نحو أربعة أعوام تقريباً، فقد بدأ تشييده في العام السادس من حكم الملك تهارقا. وسجل الملك في اللوحة رقم سبعة أن الافتتاح الرسمي للمعبد كان في العام العاشر. هذا المعبد أهداه الملك تهارقا للإله آمون حيث سجل ذلك في الباب الشمالي للقاعة.

أضاف الملك تهارقا لاحقاً لهذا المعبد مذبحاً وضعه في حجرة القرابين، وربما فعل ذلك في معبد بنوب أيضاً. لكن لم يتوصل علماء الآثار إلى أهمية هذه المزارات في العبادة. ولكن ربما تطورت هذه المزارات إلى المعابد ذات الحجرة الواحدة التي أُهديت إلى الآلهة المحلية (الإله ابيدماك والإله سبوي مكر والإله أرنسنوفيس). في أوقات الحضارة المروية.

ظلت مدينة الكوة بعد عهد الملك تهارقا لعدة سنين محتفظة بمكانتها، وربما أصبحت من حيث الأهمية الدينية المدينة الثانية بعد نبتة. وخير دليل على ذلك أن الملوك الذين تلوا الملك تهارقا أعطوها إهتماماً زائداً تمثل في ما أضافه هؤلاء الملوك إلى مبانيها، وفي إيداعهم للوحاتهم الملكية فيها. ثم زيارتها بعد توليهم العرش، كما سنعرف ذلك في الجزء الخاص بتتويج الملوك الكوشيين.

لا بدَّ أن نضيف إن ما جاء في وصف معبد الكوة فيه من الكفاية للدلالة على ما كانت عليه البلاد من ثراء يفوق حد الوصف، وقد ذكر الملك تهارقا أنه أحضر العمال والفانين وأصحاب الحرف من ممفيس ومن أنحاء القطر ومن البلاد المجاورة، هذا إضافة إلى ما أوقفه تهارقا وما أهداه لهذا المعبد بخاصة أن بلاد كوش كانت المصدر الرئيس للذهب. إن الوصف الذي كان عليه المعبد لا يضع أمام الباحث صورة لما كانت عليه البلاد من الثروة وتقدم في الفن والزراعة والصناعة والحرف فقط، بل يشير ما كان للملوك من سلطان على مصر وبلاد آسيا المجاورة .

(3) معبد آمون بصنم أبي دوم :

تقع صنم أبو دوم بالقرب من مدينة مروي الحديثة على بعد مسافة قصيرة من جبل البركل على الضفة اليسرى للنيل ، ويعتقد بعض الكتاب أمثال شيني أن مدينة نبتة عاصمة المملكة كانت تقوم في هذا الموقع[24]. أجرت التنقيب في صنم بعثة جامعة ليفربول بقيادة خبير الآثار الإنجليزي ف.ل. جريفث الذي حدد موقع المدينة القديمة بمسافة كيلومتر واحد من النيل من ناحية ، وبمسافة مماثلة إلى الشمال من الجبانة التي تقع على الحافة الصحراوية، وعثر في الموقع أيضاً على معبد لآمون قام ببنائه الملك تهارقو[25].

كرِّس هذا المعبد لآمون «ثور تاسيتي» وهو ما يعني آمون بتجسيد نقي في محليته، فهذا المبنى ذو تاريخ غامض «غريب» كما تردد في كلمات المنقِّب جريفث «بيَّنت حفرياتنا أن المعبد في صنم كان له حجم معتبر، إذْ أنَّ به ردهة في الواجهة محاطة بأعمدة منتظمة مثبتة للسقف أُدخلت عبر بوابة هرمية مفتوحة على قاعدة مبنية على أعمدة ورائها بناء معقود وغرفة للعبادة محاطة بغرف متنوعة، كل هذا شيَّده تهارقو، ثمَّ أضاف أسبلتو - بعد قرن من الزمان - غرفة أخرى مثلها في النصف الجنوبي»[26].

يبدو أن الذين قاموا بهذا العمل من الحرفيين المصريين، فنماذج صوره استمدت من مناظر معابد الدولة القديمة في مصر، إذْ مثل تهارقو لابساً تاج الوجه البحري. ويبدو أن هذا المعبد صُمِّم في وقت متأخر بعض الشيء كان فيه ضغط الآشوريين على مصر شديداً. يتكون المعبد من مبنيين مستطيلين، أولهما الفناء الخارجي وهو ردهة ذات أعمدة يصل إليها الإنسان عبر بوابة ضخمة ، وأما البناء الثاني فيتألف من قاعة أعمدة خلفها المحراب وحوله حجرات[27]، ويبدوا أن الذين قاموا بهذا العمل أيضاً من الصناع والمهدنسين المثريين، فالمعبد مصري ونماذجه صورة من مناظر الدولة القديمة في مصر، فقد مثِّل الملك تهارقو لابساً تاج لوجه البحري، كما صور على هيئة أبو الهول يدوس أعدائه بأرجله، ويبدو أن هذا المبعد قد صمم في وقت متأخر بعض الشيء كان فيه ضغط الآشوريين على مصر شديداً، وهو من مبنيين مستطيلين الفناء الخارجي من ردهة ذات أعمدة يصل إليها الإنسان بواسطة بوابة ضخمة، والبناء الثاني يتألف من قاعة أعمدة خلفها المحراب وحوله حجرات.

يوحي الخيال لكتاب عديدين أن صنم ربما كانت موقع المدينة الرئيسة لنبتة والمقر الملكي، فتكريس معبد لآمون بها يعد تبياناً كوشياً أكثر منه تجسيداً لإرادته الشاملة، ويقترح جريفث أن هذا المبنى في إحدى تجلياته دار عبادة للأسرة المالكة، لا تخضع لسيطرة الكهنة الراسخة في جبل البركل. إن الفصل الطبيعي بين النقطتين - المقدسة وغير الدينية - على جانبين متقابلين من النه ، ربما كان ضرورياً لمنع تولد الشرر الناتج عن الاحتكاك اللصيق بين السلطتين،

هنالك بالطبع إيحاء يمثل هذا الصراع في ألواح أسبلتا، إذْ مسح الكهنة احتقاراً اسم الملك من واحد منها[28].

لم يعثر أمام معبد صنم على أي نوع من الهياكل أو التماثيل أو سور، وما وجد من تماثيل أو نصب تذكارية ربما كان بعضها أقدم من عهد تهارقو، وقد وجد خرطوش كتب عليه اسم الملك بيي والإلهة حاتحور، وشعار توحيد مصر العليا والسفلى، ويمكن افتراض وجود معبد قديم في نفس المكان أو بالقرب منه، أو أنها نقلت إلى هذا المعبد من مكانٍ ما في وقت لاحق[29]. وجدت في معبد صنم مجموعة من الأسماء الملكية مثل بيي، شباكا، أتلانيرسا، سنكامنسكن، وأسبلتا، لذلك يرى جريفث أن تاريخ بناء هذا المعبد يعود إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، وبداية القرن السادس قبل الميلادي[30].

استمرَّ تقليد إصلاح وترميم المعابد أو الإضافة إليها في فترة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين متأثرين في ذلك بفراعنة مصر، وقد سار خلفاء هؤلاء الملوك على نفس المنوال، فقام أسبلتا بعد قرن ببناء مقصورة في الركن الجنوبي الشرقي للقاعة (K) التي بنى تهارقا محرابه فيها، ويفصلهما الممر الطويل الذي يبدأ من المدخل. بُني المحراب من حوائط ضخمة عليها نقوش هيروغليفية، وفي ثلاثة مشاهد يظهر آمون – رع «ثور تاسيتي»، وقد تحطَّم مشهد الملك وتبعه أميران يمسكان بيدي آمون – رع بمصاحبة موت وخنسو، وكان الإله حاضناً الملك[31]، وكذلك وجد في هذا المعبد لوح الوقف الذي نصبه الملك أسبلتا في العام الثالث من فترة حكمه، وربما أقام أسبلتا في صنم طويلاً بعد تدهور علاقته مع كهنة نبتة. هذا المعبد طاله الخراب والتحطيم بواسطة القوات الإغريقية المرتزقة التي صحبت بسماتيك الثاني الذي قام بتحطيم صروح نبتية أخرى أيضاً[32].

نتيجة للدمار الشديد والإهمال الذي أصاب معبد صنم أبو دوم منذ وقت مبكر، تعرضت المصورات في جدرانه للتلف، ولم يعد من الممكن تصور الهيئة التي بدأت فيها[33].

شيد الملك تهارقا هذا المعبد مباشرة بعد الانتهاء من بناء معبده في الكوة، أي في العام العاشرمن حكمه، وقد استفاد الملك من تجربته في بناء معبد الكوة،

إذ يلاحظ التشابه بين المعبدين. يتكون المعبد من بنائين مستطيلين، الأول منهما عبارة عن قاعة أعمدة(Hypostyle Hall)، أما الثاني فهو عبارة عن القاعة التي يوجد خلفها قدس الأقداس، وعدد من الحجرات الإضافية، والتي يتم الدخول إليها عن طريق البوابة الثانية (الشكل رقم 3).

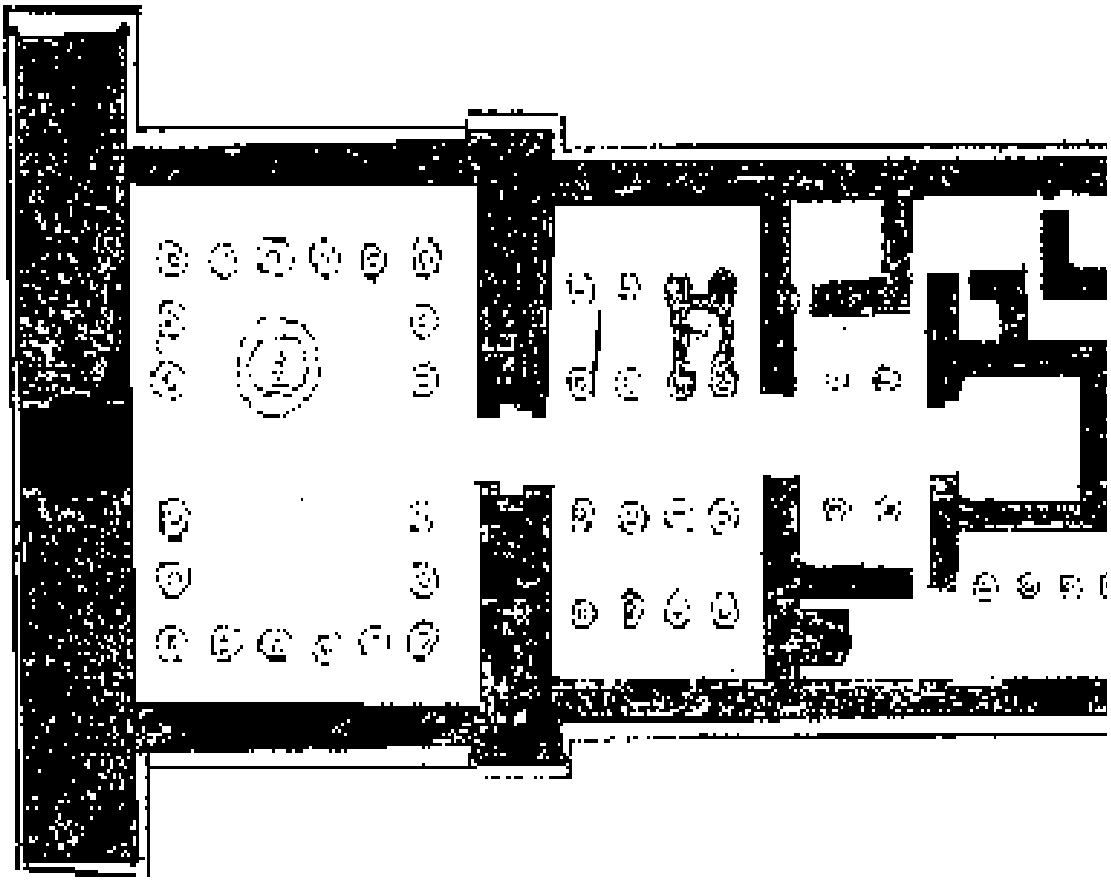

شكل رقم (3) يوضح معبد آمون بصنم أبي دوم، عن قريفيث 1922م

رغم أن معبد صنم أبي دوم يشبه معبد الكوة إلا إنه يوجد بينهما اختلاف أساسي يتمثل في وجود بوابتين في معبد صنم أبي دوم، ونجد اختلاف آخر في وضع السلم وفي مكان المحراب.

خلت بوابة معبد صنم أبي دوم من وجود أي نوع من الهياكل أو التماثيل أمامها، كما خلت من أي دليل على وجود سور، وما تم العثور عليه من تماثيل أو نصب تذكارية ربما كان بعضها أقدم من عهد الملك تهارقا. ومن اللقى الآثارية التي تم العثور عليها خرطوش كُتب عليه إسم الملك بيي والإلهة حاتحور وشعار توحيد مصر العليا ومصر السفلى، مما يقودنا إلى افتراض وجود معبد قديم في

نفس المكان أو بالقرب منه، أوأن هذه الأشياء قد تم نقلها إلى المعبد من مكان ما في وقت لاحق([34]).

استمر تقليد إصلاح وترميم المعابد أو الإضافة إليها عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين متأثرين في ذلك بفراعنة مصر، وقد سار خلفاء هؤلاء الملوك فيما بعد في نفس الإتجاه، فقد قام اسبلتا بعد قرن من الزمان ببناء مقصورة في الركن الجنوبي الشرقي للقاعة (K) التي بنى الملك تهارقا محرابه فيها، كما أضاف مصلى آخراً في النصف الجنوبي لحجرة القرابين. وبعد إضافات الملك أسبلتا أضاف الملك سنكامنسكن بناء بقيت منه بعض البقايا المتناثرة في مدخل المعبد، ولكن للأسف ليس معلوم على وجه الدقة حقيقية هذا البناء، تم العثور أيضاً في هذا المعبد على نقشين لملكين آخرين([35]).

أهدى الملك تهارقا هذا المعبد أيضاً للإله آمون والإلهة موت زوجته وابهما خنسو، وقد ذُكرت أسماء آلهة اخرى، مثل حورس المنتقم لأبيه، والإلهة سخمت، إلا إن الآلهة الأوائل يظلون هم الآلهة الرئيسيون في المعبد.

(3) معبد آمون بجزيرة أرقو (تبو أو بنوبس):

هو المعبد الوحيد الذي أقيم في جزيرة أرقو، وشُيِّد من الحجر الرملي، وقد وجدت ألواح من الحجر الرمادي اللون خاصة في أساس المعبد، مما يؤكد أنَّ الألواح قد أُعيد استعمالها مرة أخرى، وأنها ربما أُخذت من مبنى أقدم، وكان أكثرها مزخرفاً وعليه نقوش بعض أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة([36]).

يقوم المعبد على محور شرق - غرب ، مدخله من ناحية الشرق ، ويتكون من الصرح الأول الذي يؤدي إلى بهو أعمدة، ثم الصرح الثاني ويؤدي إلى بهو الأعمدة الثاني الذي يقود إلى فناء يتقدم غرفة قدس الأقداس، التي شيدت حولها على الميمنة والميسرة غرفتان ثانويتان تفتح كلاهما في هذا الفناء. يبلغ الطول الكلي للمعبد 75.6 متراً وعرضه 31 متراً. وكلا الصرحين الأول والثاني يمتدان إلى خارج سور المعبد. ويبلغ عرض الصرح الأول 40 متراً وعرض الثاني 35 متراً؛ وهذه الأرقام توضح أن المعبد يعد من المعابد الكبيرة في السودان([37]).

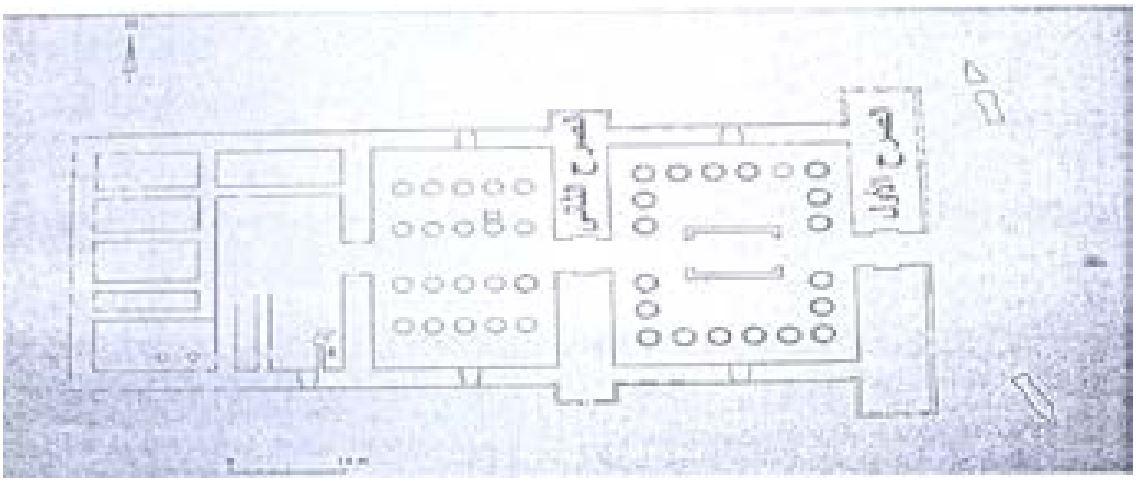

شكل رقم (4) يبين معبد الملك تهارقا بـــ»تبو، عن 78: 1969 : Jacquet

لم يوجد دليل من بقايا المعبد يوضح تاريخ إنشائه؛ ولكنه بُني على الطراز المصري الخالص، وكان يشبه إلى حدٍ كبير المعابد التي شيدها تهارقا في الكوة وصنم أبي دوم، ومعبد الملك بيي في البركل[38]. يتكون المعبد من رواق كبير به عدد من الأعمدة وقاعة أعمدة يقوم سقفها على أربعة صفوف من الأعمدة ، اشتمل كل صف على خمسة أعمدة، ثم حجرة صغيرة ، وأخيراً المقصورة التي تحيط بها من الجانبين حجرات إضافية صغيرة. لم يبق من معظم جدران هذا المعبد إلا الأساس، وقد نحتت في وسط قاعة الأعمدة مساحة مربعة الشكل ربما كانت موضعاً للمذبح[39].

لم يذكر اسم الإله الذي أهدي إليه هذا المعبد ، لكن من التمائم التي نحتت فيها الريشتان ورأس الكبش الذي توِّج بقرص الشمس ، من السهل الافتراض أن هذا المعبد ربما أهدي للإله آمون[40].

تعزى الحالة السيئة التي عليها تلك البقايا إلى عدم وجود أحجار بالمنطقة، مما دفع السكان المحليين لاستخدام أحجار المعبد في سقف منازلهم، بوضع الأحجار تحت كتل أخشاب السقف، حيث تشاهد هذه الأحجار في كل المنازل بالقرى المجاورة، إضافة لذلك فإن النوع الرديء من الحجر الرملي الذي استخدم في بناء معظم أجزاء المعبد ، لم يكن بمقدورها أن تقاوم عوامل التعرية التي تحدثها الرياح[41].وهو المعبد الذي أُقيم في جزيرة أرقو، ويبدو أنه شُيد في مكان مدينة برنوبس القديمة التي تقع على مسافة قصيرة إلى الشمال من مدينة

الكوة، فقد ذكرها الملك حرسيوتف مع الكوة، وذكر كل من الملكين نستاسن وأمون نتي يركي أن كل منهما قد تحرك من الكوة حتى برنوبس دون حاجة للتوقف في الطريق، جاء ذكر هذه المدينة أيضاً في اللوحة رقم ثلاثة عشر(لوحة الملك أمان – سابراك)(Aman-Sabrak) مع الكوة، وفي تقدير مكادم أنها تقع في جزيرة أرقو بين الشلال الثالث والكوة[42].

لم يتم الحصول بين بقايا المعبد دليل على تاريخ إنشائه، ولكن كان طرازه على النمط المصري الخالص، وكان يشبه إلى حد كبير المعابد التي بناها الملك تهارقا في الكوة وصنم أبي دوم، كما يشبه معبد الملك بيي في جبل البركل، ولعله لذلك السبب نسب علماء الآثار هذا المعبد للملك تهارقا. فقد تم استخدام الحجر الرملي في تشييد هذا المعبد، واحتوى أساس المعبد على ألواح من الحجر الرمادي اللون، يبدو أنها قد أُعيد استعمالها، وربما تكون قد نُقلت من مبنى قديم مجاور، كان أكثر هذه الألواح مزخرفاً وعليه خراطيش بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة، مثل تحتمس الثالث وتحتمس الرابع وأمنحتب الثاني وأمنحتب الثالث، مما يشير إلى وجود معبد في هذا المكان أو بالقرب منه خلال فترة هذه الأسرة[43].

كان من ضمن الأسماء المنقوشة اسم الإله آمون، لكن ما لفت نظر المنقبين أن اسم آمون تمت إزالته أولاً ثم أُعيدت كتابته مرة أخرى، مما يدل على أن أتباع إخناتون قد وصلوا إلى هذه المنطقة خلال ثورته الدينية، خاصة وأن كل هؤلاء الملوك سابقون لأخناتون، وربما كان رعمسيس الثاني هو الذي أعاد كتابة إسم الإله آمون، فقد وجد اسمه منقوشاً في إحدى الحجرات الصغيرة الواقعة جنوب المصلى. دليل آخر على وجود معبد في هذا المكان خلال المملكة المصرية الحديثة يظهر في وجود أجزاء عديدة من لوحات من الجرانيت و تماثيل عليها نصوص هيروغلوفية.

يتكون المعبد من رواق كبير به عدد من الأعمدة وقاعة أعمدة يقوم سقفها على أربعة صفوف من الأعمدة. اشتمل كل صف على خمسة أعمدة، نحتت في وسط هذه القاعة مساحة مربعة ربما كانت لوضع المذبح أو مركب

الشمس، احتوى المعبد أيضاً على حجرة صغيرة وأخيراً المصلى الذي تحيط به من الجانبين حجرات إضافية صغيرة. لم يتبق من معظم جدران المعبد إلا الأساس. تدل كثرة الأشياء النفيسة والمصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والخزف التي تم العثور عليها في المعبد على كثرة الهبات التي كانت تقدم لهذا المعبد.

لم يُذكر اسم الإله الذي أُهدي له هذا المعبد، لكن من التمائم التي نُحتت فيها الريشتان أو رأس الكبش وقد تُوج بقرص الشمس، يمكن القول إن هذا المعبد أُهدي للإله آمون، خاصة أنه الإله الوحيد الذي ذُكر اسمه في أجزاء من النقوش التي بقيت من المعبد القديم.

بقي أن نذكر أن معبد الملك بيي في جبل البركل ومعابد الملك تهارقا تشكل المعابد الرئيسة في منطقة نبتة، وقد أطلق عليها بروفيسور حاكم على هذه المعابد معابد التتويج، وتبدو هذه الصفة ملائمة خاصة أن بعضها كان له علاقة بشعائر تتويج الملوك الكوشيين[44].

الخاتمة:

تشابهت هذه المعابد في صفات عديدة مثل احتوائها على صروح عالية تفاوت عددها من معبد آخر، وكذلك احتوائها على أبهاء غير مسقوفة احتوت على لوحات الملوك كما في معبد جبل البركل، الذي ضم لوحات الملوك بيي واسبلتا وحرسيوتف وتماثيل الملوك من تهارقا حتى اسبلتا. وقد احتوى معبد تهارقا في الكوة على لوحاته الخمس ولوحة أنلماني. وفي تقديرنا أن افتراض بروفيسور الزاكي أن هذه الأبهاء يمكن أن يُطلق عليها أبهاء الاحتفالات.

أخيراً يمكن القول إن المعابد الرئيسة في نبتة تشابه معابد طيبة، من حيث التخطيط وما حوته من مباني، وربما احتوت المعابد الأمونية في كل من البركل وصنم أبي دوم وبنوب على حدائق كما هو الحال في معابد طيبة، إلا إن المعبد الوحيد الذي كشف فيه علماء الآثار عن وجود حدائق هومعبد تهارقا في الكوة. يؤكد صدق نتائج هذا الكشف أن تهارقا ذكر ذلك في اللوحة رقم خمسة. وقد ذكرها حرسيوتف في لوحة تتويجه وأيضاً نستاسن. ولعل الاختلاف الواضح بين معابد آمون في كوش ومعابده في طيبة يتمثل في عدم إقامة أسوار حول المعابد في كوش، إذ أن ما وُجد من الأدلة قليل ولا يؤكد أن الملوك الكوشيين اهتموا بها.

المصادر والمراجع:

(1) أحمد محمد علي الحاكم بمساعدة أ. هربك و ج. فركوتير «حضارة نباتا ومروي»، تاريخ أفريقيا العام، ج2 ، اليونسكو، 1985م

(2) أرمان أدولف ، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995م

(3) الأمين عثمان شعيب، مدينة جم أتون «الكوة» التاريخ والحضارة، دار المصورات للنشر، الخرطوم، 2018م.

(4) الحسن أحمد محمد الحسن، 2007م، آثار الملك تهارقو في وادي النيل (690-664ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.

(5) ʿامية بشير دفع الله، 2005م، تاريخ مملكة كوش، دار الأشقاء للطباعة والنشر، ط1، الخرطوم بحري.

(6) شوقي الجمل، 1969م، تاريخ سودان وادي النيل، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية.

(7) عمر حاج الزاكي، 1983م، الإله آمون في مملكة مروي، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم.

(8) وليام ي آدمز، 2005م، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، مطبعة الفاطيما، مصر.

(9) Budge. W., 1907 : A History of Ethiopia, Vol. 1, London,.

(10) Fontes Historiae Nubiorum. vol. 1. University of Bergen. 1994.

(11) Griffith. E.L. 1922: Oxford Excavation in Nubia. LAAA Vol,9. Liverpool.

(12) Jacquet Gorden, H, and Bonnet. C., 1969 : Pnubs and the Temple of Tabo on the Argo Island. In : JEA.London, 55.

(13) Kendall, T. 2006: "Why Did Taharqo Build his Tomb at Nuri?" An unpublished Paper Presented in the 11th Conference of Nubian Studies, Warsaw.

(14) Macadam. M.F.L., 1955 : The Temples of Kawa, Vol. 2, History and the Archaeology of the Site, Text – Plates, London.

(15) Macadam. M.F.L.. 1949: The Temples of Kawa. vol. I. Inscription. Text and Plats. London.

(16) Maystre. C., 19671968-: "Excavations at Tabo, Argo Island, 1965-1968, Preliminary Report", Kush, Vol. 15,.

(17) Reisner G.A., 1917: "The Barkal Temples in 1916", JEA, Vol. 4. London.

(18) Shinnie, P.L., 1967: Meroe a Civilization of the Sudan, London.

(19) Wenig, S., 1978 : "Africa in Antiquity". vol. 2, Brooklyn Museum, New York.